وديع عواودة (*)

«الجرف الصامد» بعيون إسرائيلية

لم تمر سوى فترة قليلة على انتهاء الحرب على غزة، التي استمرت ٥٠ يوما استُخدمت فيها كمية نيران غير مسبوقة، وتسببت بمقتل وإصابة نحو عشرة آلاف فلسطيني مقابل مقتل ٧٣ إسرائيليا وإصابة حوالي ٧٠٠ أغلبيتهم الساحقة جنود، وهي الحرب الثالثة في غضون خمس سنوات.

وقبل أن تضع الحرب أوزارها، شهدت إسرائيل جدلا مبكرا وصاخبا حولها طال حتى الائتلاف الحاكم، حول إدارتها، أهدافها، انعكاساتها وجدواها، وسادت بفعل مجرياتها مشاعر غضب وخيبة أمل ودعوات للتحقيق في هذه المجريات.

نحاول في هذا التقرير، ورغم عدم هبوط غبار الحرب على الأرض نهائيا، قراءة ردود الفعل في إسرائيل بكل مستوياتها نحو العثور على أجوبة ولو أولية حول الأسئلة وما هي أهم ردود الفعل عليها، هل هي حدث مؤسس؟ هل تسببت بتفكير جديد في العقيدة السياسية أو العسكرية والإستراتيجية حيال الصراع ومستقبل العلاقة مع غزة أو مع السلطة الوطنية والشعب الفلسطيني؟ هل تقود الحرب التي يرى فيها الإسرائيليون فاشلة لمسيرة سياسية؟ ما هي الخيارات الماثلة أمام إسرائيل بعد الحرب من ناحية سياسية؟ هل تسعى لتسوية الصراع أم تواصل تمسكها باستراتيجية إدارته؟

«نجاحات الحرب» مقابل خيبة أمل وإحباط

رسميا، اعتبرت إسرائيل أن الحرب على غزة انتهت بمكاسب عسكرية وسياسية كبيرة لها، مقابل تلقي حماس ضربات قاسية اضطرتها لقبول وقف النار دون أن تحصل على أي من مطالبها.

(*) صحافي فلسطيني- كفر كنا.

غزة: تغوّل عسكري وسط تسامح دولي

في مؤتمر صحافي عقده في القدس بتاريخ ٢٠١٤/٨/٢٧ قال رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو إن إسرائيل حددت لها منذ اللحظة الأولى هدفا واضحا يتمثل بتوجيه ضربات صعبة لحماس وبقية «منظمات الإرهاب» في غزة والحصول بالتالي على فترة هدوء طويلة. وقال نتنياهو في المؤتمر الصحافي بمشاركة وزير الدفاع موشيه يعلون وقائد الجيش بيني غانتس أيضا إن الجيش الإسرائيلي دمّر الأنفاق الهجومية وما لبث أن غادر القطاع فور انتهاء المهمة وكي لا يعطي فرصة لقتل جنوده، إصابتهم أو أسرهم. ودون أن يشير لمقتل ٧٣ إسرائيليا معظمهم من الجنود وإصابة أكثر من ٧٠٠ جندي، أشار نتنياهو لقتل نحو ألف من جنود العدو. سياسيا اعتبر نتنياهو أن حماس باتت أكثر عزلة في العالم بعد نجاح إسرائيل بإقناع العالم أن حماس، «داعش»، و«القاعدة» تنتمي لعائلة واحدة، إضافة لترسيخ الفهم بأن الهدف على المدى البعيد هو نزع سلاح حماس في غزة. كما أشار إلى أن «التغيير الإقليمي مع القوى المعتدلة في الشرق الأوسط، خلق إمكانية لأفق سياسي جديد لإسرائيل». وزعم أن إسرائيل ستسعى لتحقيق هدفها بتوفير هدوء مطول، لافتا أن ذلك منوط بضرب حماس والجهاد الإسلامي بقوة وبقدرة إسرائيل على منع المنظمات «الإرهابية» من إعادة بناء قوتها، من خلال رقابة الحدود.

لكن أوساطا داخل الإئتلاف الحكومي لم تتبن رواية الحرب وتقييمات الثلاثية المذكورة لها، ووجهت انتقادات معلنة وأحيانا قاسية على إدارتها وشككت بنتائجها وجدواها. وهذا ما أقره الشارع الإسرائيلي وفق استطلاعات رأي متلاحقة أفادت بأن أكثر من ٥٠٪ منهم يرون أن حرب «الجرف الصامد» فشلت وأنها في أحسن الأحول انتهت بعدم حسم.

وذهب رئيس لجنة الخارجية والأمن في الكنيست زئيف إلكين (ليكود) منذ منتصف الحرب لحد دعوته لتشكيل لجنة تحقيق بـ «الجرف الصامد» دون «لف ودوران». وقال إلكين (موقع «واينت» الإخباري في ٢٠١٤/٨/٣) إنه لا مفر من لجنة تحقيق لفحص الأسئلة القاسية التي تصرخ من قلب هذه الحرب. وتابع «أراجع استنتاجات لجنة فينوغراد للتحقيق في حرب لبنان الثانية واستنتج كم هي غير مجدية لأن استخلاصاتها لم تطبق والجولة القادمة مع حماس قريبة جدا».

وعلل رفضه للقرار الحكومي بالتأكيد أن المهمة لم تنجز، وإسرائيل لم تحصل على قوة ردع، بالتذكير بأنه دعا منذ اليوم الأول للعدوان على غزة لتوسيعه ويضيف «أخطأنا حينما وثقنا بمطلب حماس بوقف النار».

وعبر رئيس الاستخبارات العسكرية السابق الجنرال عاموس يدلين عن خيبة الأمل وأجواء الإحباط السائدة في إسرائيل بتصريحات ومقالات متكررة منذ منتصف الحرب (موقع معهد دراسات الأمن القومي – جامعة تل أبيب) مفاده أن الحرب انتهت بنتيجة تعادل إستراتيجي رغم اختلال موازين القوى والصمت الدولي والدعم العربي السري.

وعبر رؤساء الحكم المحلي في المنطقة المحيطة بقطاع غزة والمعرفة بـ «غلاف غزة»، وتعد ٣٨ مستوطنة، عن خيبة أملهم من وقف الحرب دون إزالة تهديدات الصواريخ والأنفاق التي دفعت السكان للهرب نحو مناطق أخرى منذ بداية الحرب.

نشوب خلافات داخل الإئتلاف

يذهب نائب وزير الدفاع داني دانون (ليكود) الذي أقاله نتنياهو من منصبه في مستهل العدوان لنعته بالجبان لأبعد من ذلك في انتقاداته، ويتساءل (القناة العاشرة ٢٠١٤/٧/١٢) ماذا حققت الحرب التي استغرقت نحو الشهر وحظيت بدعم عربي ودولي وكلفت عشرات القتلى الإسرائيليين؟ وهذه مجرد إنذار مبكر لما لبث أن تعرض له نتنياهو من قبل وزرائه لاحقا وقبل إعلان وقف النار في ٢٠١٤/٨/٢٦. أما وزير السياحة عوزي لانداو (إسرائيل بيتنا) فكان لا يقل حدة في انتقاد القرار وقف الحرب بقوله إن قوة ردع إسرائيل تآكلت بشكل دراماتيكي.

يؤكد لانداو الذي يستبعد سقوط الحكومة رغم فشل الحرب (٢٠١٤/٨/٣ موقع روتير) أن إسرائيل لم تحقق هدفها، لأن الأنفاق هدف هامشي والخطر الأهم هو الصواريخ وقيادة حماس نجت وستبادر لحفر الأنفاق مجددا وتطوير الصواريخ لتحمل رؤوسا كيماوية أو بيولوجية.

وعاد لانداو وكرر انتقاداته المباشرة بعد إعلان الحرب (القناة العاشرة ٢٠١٤/٨/٢٩) لإسرائيل منوها لضرب قوة ردعها وازدياد قوة حماس في الشارع الفلسطيني. كما عّبر رئيس الشاباك السابق يوفال ديسكين (يديعوت أحرونوت ٢٠١٤/٨/٢٨) عن خيبة أمل أوساط إسرائيلية واسعة من نتائج الحرب ومن عدم قدرة «أقوى جيش في الشرق الأوسط والمسلح بأفضل الأسلحة» على هزيمة «منظمة في بقعة صغيرة» خلال أكثر من ٥٠ يوما من القتال. وأوضح أن وقف إطلاق النار مع حركة حماس أبقى الجمهور الإسرائيلي محبطا، فالمستوى السياسي اختار ألا يهزم حماس عسكريا، واكتفى بتدمير أنفاق هجومية، وضربات جوية وجهت إلى البنى التحتية لحماس، وتسببت بدمار كبير في قطاع غزة . منوها أنه رغم ذلك، فلا يزال بإمكان حماس أن تشكل تهديدا على البلدات الإسرائيلية حتى حيفا، وبينما توقع الجمهور الإسرائيلي نهاية مغايرة للقتال، فقد تلقى خيبة أمل.

تعادل إستراتيجي

وعبّر رئيس الاستخبارات العسكرية السابق الجنرال عاموس يدلين عن خيبة الأمل وأجواء الإحباط السائدة في إسرائيل بتصريحات ومقالات متكررة منذ منتصف الحرب (موقع معهد دراسات الأمن القومي – جامعة تل أبيب) مفاده أن الحرب انتهت بنتيجة تعادل إستراتيجي رغم اختلال موازين القوى والصمت الدولي والدعم العربي السري.

وعبر رؤساء الحكم المحلي في المنطقة المحيطة بقطاع غزة والمعرفة بـ «غلاف غزة»، وتعد ٣٨ مستوطنة، عن خيبة أملهم من وقف الحرب دون إزالة تهديدات الصواريخ والأنفاق التي دفعت السكان للهرب نحو مناطق أخرى منذ بداية الحرب. وعكس هذه المشاعر السلبية رئيس بلدية عسقلان إيتمار شمعوني الذي اعتبر وقف الحرب دون الإجهاز على حماس وقدراتها «استسلام للإرهاب» (الإذاعة العبرية العامة ٢٠١٤/٨/٢٧).

وبذلك عبر شمعوني عن توجهات سكان منطقة جنوب البلاد، وعلى خلفية أزمة الثقة غير المسبوقة هذه دعت صحيفة «هآرتس» (٢٠١٤/٨/١٠) في افتتاحيتها لتسوية الأزمة الخطيرة بينهم وبين الجيش والحكومة. لكن الحرب استمرت ومعها أزمة الثقة لا سيما بعد الهدنة قبل الأخيرة، وتجلت برفض أغلبية سكان «غلاف غزة» دعوة المستويين السياسي والعسكري العودة لمنازلهم التي هجروها مع بدء الحرب.

بطبيعة الحال، كانت المؤسسة الإعلامية الإسرائيلية أكثر نقدا للحرب، إدارتها ونتائجها رغم تماثلها مع الحكومة وتأييدها شبه المطلق لها طيلة أيام القتال. وتتباين تحليلات المحللين الإسرائيليين الكبار حول إدارة الحرب وسبل إنهائها، لكنهم يتفقون على كونها عادلة وحتمية، والأهم يتفقون على فشلها في تحقيق أهدافها المعلنة بإخماد النار في غزة وضرب مقاومتها

وكان سكان مستعمرات الجنوب الذين يتهمون الحكومة بإهمالهم منذ ١٤ عاما لكونهم في الهوامش ازدادوا غضبا بعدما دعاهم قائد الجيش بيني غانتس للعودة لبيوتهم غداة الاتفاق على الهدنة المذكورة.

وتفاقمت أزمة الثقة بعدما كشفت الحرب عن تهديد الأنفاق العسكرية التي نجحت عبرها المقاومة بمباغتة عدوها وضربه خلف خطوطه، ويتوقع مراقبون أن تكون هذه المسألة أهم القضايا التي ستعالجها لجنة تحقيق إسرائيلية في الحرب (المعلق العسكري البارز ألون بن دافيد في «تويتر»).

المؤسسة الإعلامية

بطبيعة الحال، كانت المؤسسة الإعلامية الإسرائيلية أكثر نقدا للحرب، إدارتها ونتائجها رغم تماثلها مع الحكومة وتأييدها شبه المطلق لها طيلة أيام القتال. وتتباين تحليلات المحللين الإسرائيليين الكبار حول إدارة الحرب وسبل إنهائها، لكنهم يتفقون على كونها عادلة وحتمية، والأهم يتفقون على فشلها في تحقيق أهدافها المعلنة بإخماد النار في غزة وضرب مقاومتها.

واعتبر المحرر السياسي لإذاعة الجيش رازي باركائي أن القرار بوقف النار دون تسوية يترك في الفم مذاقا مرّا، وقال إن الوضع الراهن يثير شعورا بتفويت فرصة منوها (القناة العاشرة ٢٠١٤/٨/٢٨) للثمن الباهظ الذي سددته إسرائيل بحربها، وإلى أن غزة تنزف والمقاومة الفلسطينية باقية فيها دون حل جذري للأنفاق. وعلى غرار معلقين آخرين يتابع «للأسف واضح أن الجولة الثانية والثالثة في الطريق».

وضمن تحليلاته لأجواء الخيبة في إسرائيل اليوم، يشير المعلق البارز في القناة العاشرة رفيف دروكر لمقتل ٦٤ جنديا وإصابة ٧٥٠ جنديا في «الجرف الصامد» مقابل مقتل تسعة جنود في «الرصاص المصبوب» نهاية ٢٠٠٨.

كما يوضح دروكر في مدونته الخاصة أن خيبة الأمل والشعور بتفويت الفرصة تفاقما بعدما تبين أن إسرائيل استخدمت كميات هائلة من النار وتكبد اقتصادها خسارة بقيمة أربعة مليارات دولار . وعلى غرار محللين كثر، يشير للنتائج السياسية والاقتصادية الفادحة لصورة إسرائيل التي تتعرض لمقاطعات متزايدة ومتنوعة.

ويؤكد أن إسرائيل ستعوض الخسارة المالية الفادحة بفرض ضرائب جديدة على الإسرائيليين، وبتقليص خدمات الرفاه والصحة والتعليم في السنوات القادمة نظرا لاستئثار الأمن بحصة الأسد من الموازنة العامة.

أسئلة قاسية

ودعت صحيفة «يديعوت أحرونوت» (ملحقها الأسبوعي ٢٠١٤/٩/٥) على لسان معلقها السياسي البارز ناحوم برنياع إسرائيل لمراجعة دفاتر الحرب بحثا عن أجوبة لأسئلة قاسية: ما هو ميزان المكاسب والإخفاقات حتى الآن؟ كيف تدهورت إسرائيل نحو حرب استنزاف مقابل عدو ينبغي أن يكون «مريحا وسهلا»؟ وكيف فقدنا مستوطنات الجنوب؟ وكيف تحولوا للاجئين يجولون البلاد ويتظاهرون ضد الحكومة العاجزة عن حمايتهم؟ هي أسئلة إسرائيلية كثيرة ومؤرقة تتعلق بقوة ردع إسرائيل، هيبة جيشها وثقة مواطنيها بها وبمستقبلهم فيها، تجد إجاباتها بمعظم الأحيان ليس في الخلل الإسرائيلي في إدارة العدوان بل بصمود غزة وصبر أهلها.

الحرب على غزة: تفاعلات متدحرجة في إسرائيل

الواضح بالنسبة له أن كل شيء وارد، حتى توجه حكومة نتنياهو لتسوية الصراع بالمفاوضات مع السلطة الفلسطينية، لأنه ما زال مقتنعا بـ «أرض إسرائيل الكبرى»، ويراهن على تخويف الإسرائيليين من أعداء خارجيين, تارة «داعش» وتارة إيران.

وفي سياق الإشارة غير المباشرة لاختلال المعادلة بين الثمن وبين النتائج كشفت صحيفة «هآرتس» (٢٠١٤/٨/١٥) نقلا عن المؤسسة الأمنية أن الجيش الإسرائيلي أطلق قذائف مدفعية خلال هذه الحرب أربعة أضعاف ما أطلقه في حرب «الرصاص المصبوب»، منوهة أنه أطلق في حي الشجاعية على سبيل المثال ٦٠٠ قذيفة في الساعة، وفي رفح أطلق ألف قذيفة مدفع في ثلاث ساعات. كما كشفت أن الجيش الإسرائيلي استهلك خمسة ملايين رصاصة و ٨٢ ألف قذيفة مدفع ودبابة، و ٥٠ مليون لتر وقود للطائرات المقاتلة خلال هذا العدوان.

احتمالات التسوية

هل ستؤثر الحرب على العلاقات مع السلطة الفلسطينية؟ هذا واحد من الأسئلة التي طرحت في إسرائيل بأشكال مختلفة منذ إعلان وقف النار. يرى بعض المسؤولين الأمنيين البارزين والمعلقين اليوم أن الحل يكمن بإحراز تسوية مع السلطة الفلسطينية وتعزيز مكانتها، بعضهم يرى على خلفية ذلك حكومة الوحدة الفلسطينية فرصة لمثل هذه التسوية الشاملة لغزة والضفة بعكس موقف إسرائيل الرسمي التي تواصل هجومها عليها. الكاتب البارز دافيد غروسمان واحد من الأصوات القليلة التي دعت لاستنتاج استنتاجات سياسية مهمة من الحرب، فأكد في حديث لإذاعة الجيش الإسرائيلي (٢٠١٤/٨/١٧) عدم وجود حل عسكري للنزاع بين إسرائيل وبين حماس. قال غروسمان الذي ثكل ابنه الضابط في حرب لبنان الثانية ما لا يجرؤ على قوله أحد في التيار المركزي الصهيوني بأن إسرائيل لا تستطيع أن تتنفس الصعداء طالما أن غزة تكابد الحصار والخناق. وكرر غروسمان ما قاله خلال مظاهرة جماهيرية ضد الحرب في تل أبيب (٢٠١٤/٨/١٠) داعيا الحكومة لأن تعرض على الفلسطينيين برنامجا كبيرا رؤيته بعيدة ومثمرة تتضمن مقترحات حقيقية. وتابع «ما ينبغي أن يتغير الآن في إسرائيل بعد الحرب هو تذكير من يفاوض نيابة عنا في القاهرة بأنه إذا كان سكان غزة هم أعداء اليوم فإنهم سيبقون للأبد جيراننا».

وقال غروسمان ما يعتقده مراقبون سياسيون كثر بأن استنكاف إسرائيل عن طرح صيغة لتسوية الصراع مع الفلسطينيين له تفسير وحيد وهو أنها تفضل الحروب على أي مخاطرة مطلوبة لإحراز السلام. ودعا الأديب غروسمان

يبدو أن رئيسة حزب «الحركة» وزيرة العدل تسيبي ليفني لا تستطيع التأثير فعلا على سياسات وإستراتيجيات الحكومة حتى بعد الحرب على غزة. ففي تغريدة في حسابها على «تويتر» قالت غداة وقف النار إن إسرائيل لا تعد تسوية مع حركة حماس بل ضدها من خلال تسوية إقليمية ودولية، ولاحقا كررت انتقاداتها لتهرب الحكومة من التسوية، وشاركها بتوجيه الانتقادات وزير المالية يئير لبيد، ولكن هذه التغريدات لا تنعكس في توجهات الحكومة التي يشاركان بها حتى الآن.

الإسرائيليين للاستيقاظ من لامبالاتهم والمشاركة في مبادرة من أجل السلام مع الفلسطينيين.

ولكن يبدو أن غروسمان في واد وإسرائيل في واد آخر من هذه الناحية، فحتى التسوية مع حماس حول غزة باتت تحت علامات سؤال. الحكومة الإسرائيلية غير راغبة بتسوية مع حماس ولا تريد أكثر من معادلة هدوء مقابل هدوء. هذا ما أكدته القناة العاشرة (٢٠١٤/٩/٣) نقلا عن مصادر سياسية عليا مشددة على أن الحرب لم تزحزح قناعة نتنياهو بضرورة إدارة الصراع لا تسويته.

يظهر يوفال ديسكين الرئيس السابق للمخابرات في مقاله إياه (يديعوت أحرونوت ٢٠١٤/٨/٢٩) لماذا ستبقى دعوات غروسمان حبرا على ورق على ما يبدو، فهو يقول إنه يجب أن يكون لإسرائيل مصلحة في إنهاء المواجهات مع قطاع غزة بأقصى سرعة، بالتزامن مع عمليات ومبادرات استباقية تثبت التسوية السياسية، معتبرا أن المشكلة هي أن القيام بمبادرة ليست الطريق المحببة لدى القيادة السياسية – الأمنية الإسرائيلية التي قادت المواجهات الحالية. واقترح ديسكين في مقالته البحث عن بدائل سياسية، والعودة إلى مبادرة السلام العربية ونفض الغبار عنها وتطويرها بما يتلاءم مع معطيات الواقع الإقليمي، وفي المقابل فهو يشير إلى أن إسرائيل اليوم تقودها حكومة ضعيفة ومترهلة، وائتلاف يجعلها مصابة بالشلل السياسي.

ويبدو أن رئيسة حزب «الحركة» وزيرة العدل تسيبي ليفني لا تستطيع التأثير فعلا على سياسات وإستراتيجيات الحكومة حتى بعد الحرب على غزة. ففي تغريدة في حسابها على «تويتر» قالت غداة وقف النار إن إسرائيل لا تعد تسوية مع حركة حماس بل ضدها من خلال تسوية إقليمية ودولية، ولاحقا كررت انتقاداتها لتهرب الحكومة من التسوية، وشاركها بتوجيه الانتقادات وزير المالية يئير لبيد، ولكن هذه التغريدات لا تنعكس في توجهات الحكومة التي يشاركان بها حتى الآن.

دعت ليفني في المؤتمر الرابع عشر لـ «معهد السياسات المناوئة للإرهاب» في هرتسليا (٢٠١٤/٩/٩) إلى استكمال أهداف الحرب على غزة بتسوية تشارك فيها السلطة الفلسطينية والدول العربية المعتدلة تفرض ترتيبات جديدة في قطاع غزة تقود إلى نزع سلاح فصائل المقاومة الفلسطينية.

وفي انتقاد مبطّن لنتنياهو قالت إن من الخطأ أن الحملة العسكرية لم تنته بتسويات دولية، تشارك بها إسرائيل والمجتمع الدولي والدول العربية المعتدلة والسلطة الفلسطينية؛ ولم تنته بتجديد المفاوضات. وتابعت «قوتنا العسكرية أضعفت حماس لكننا ينبغي أن نضعفها أكثر وأكثر والعملية السياسية من شأنها استكمال ذلك بحيث تؤدي إلى استبدال سلطة حماس».

وأضافت: «ما ينقص الآن هو الخطوة السياسية، ليس من أجل إعطاء حماس شيئا، بل لفرض ترتيبات جديدة في غزة. ونحن بهذه الطريقة لا نمنح غزة حلا فحسب، بل نغيّر مكانة إسرائيل، وتصبح جزءا من ائتلاف جديد يواجه التهديدات الإسلامية المتشددة».

حملة إسرائيلية على حماس وعباس

لكن مراقبين إسرائيليين كثيرين يرون أن حكومة إسرائيل غير راغبة بتسوية الصراع مع الفلسطينيين بل إدارته، وبعدم التوصل لاتفاق مع حماس في غزة. وهذا ما يستدل من تصريحات متواصلة لوزراء في إسرائيل على خطى رئيس حكومتها الذي عاد لتوجيه الانتقادات للسلطة الفلسطينية، بعد هدنة سياسية خلال الحرب على غزة، في محاولة لتبرير التمسك بنظرية «اللاشريك» الموروثة من رئيس

لكن مراقبين إسرائيليين كثيرين يرون أن حكومة إسرائيل غير راغبة بتسوية الصراع مع الفلسطينيين بل إدارته، وبعدم التوصل لاتفاق مع حماس في غزة. وهذا ما يستدل من تصريحات متواصلة لوزراء في إسرائيل على خطى رئيس حكومتها الذي عاد لتوجيه الانتقادات للسلطة الفلسطينية، بعد هدنة سياسية خلال الحرب على غزة، في محاولة لتبرير التمسك بنظرية «اللاشريك» الموروثة من رئيس الوزراء الأسبق إيهود باراك بعد فشل قمة كامب ديفيد العام ٢٠٠٠.

الوزراء الأسبق إيهود باراك بعد فشل قمة كامب ديفيد العام ٢٠٠٠.

وجدد وزير الشؤون الإستراتيجية الإسرائيلي يوفال شطاينيتس (ليكود) حملته على عباس وحماس، وقال إن الأول ينبغي أن يبادر لما هو حد أدنى وينزع سلاح المقاومة في غزة. ووصف شطاينيتس بتصريحات للقناة العبرية العامة (٢٠١٤/٩/٣) انتقادات الرئيس عباس لحركة حماس بالملائمة، لكنها لا تنظفه من مسؤوليته ما يجري في غزة. قال شطاينيتس المعروف بمواقفه المتشددة إنه من المفضل أن يقوم الرئيس عباس بالسيطرة على غزة ونزع سلاحها بدلا من أن يقدم الوعظ لإسرائيل ويحاول فرض قرارات، في إشارة لتوجه السلطة الفلسطينية لطرح خطة محدودة بالزمن لإنهاء الاحتلال. وفيما يبدو عملا بتكتيك «أفضل الدفاع الهجوم» تابع شطاينيتس المقرب من نتنياهو «إذا كان عباس غير قادر على فعل ذلك كما التزم وضمان أمن غزة وإسرائيل فهناك علامة سؤال كبير حول إمكانية الذهاب معه لخطوات إضافية».

من جهته، واصل أفيغدور ليبرمان وزير الخارجية رئيس حزب «إسرائيل بيتنا» هجومه على الفلسطينيين مقاومة وسلطة وطنية، وحاول هو الآخر استغلال الغضب العالمي على «داعش» لتلطيخ سمعة حماس.

بين الركام.. بعد العدوان.

ساندت المعارضة في إسرائيل الحكومة في حربها على غزة، لكنها ما لبثت أن أبدت تحفظاتها من استمرارها ومن وقوع عدد كبير من الضحايا في الجانب الفلسطيني. اتهم إسحق هرتسوغ رئيس المعارضة في إسرائيل رئيس حزب «العمل» حكومة نتنياهو بتفويت متعمد لفرصة تاريخية لمشروع سياسي يعقب «الجرف الصامد»، مشددا في تصريحات لصحيفة «معاريف» الإلكترونية (٢٠١٤/٩/٧) على أن نتنياهو يناور ويتهرب من تسوية الصراع.

اعترف ليبرمان في حديث مع المراسلين السياسيين (موقع واينت ٢٠١٤/٩/٩) أن الحديث عن نزع سلاح غزة ليس واقعيا اليوم، لكنه دعا إسرائيل للمواظبة في طرح مطلبها هذا، ولفت إلى أن الهدنة محدودة زمنيا، مرجحا أن قائد عز الدين القسام محمد الضيف قد توفي جراء القصف الإسرائيلي بقوله «طالما لم نسمع تسجيلا بصوته فهناك مكان للتفاؤل».

مركبات الصراع

وحول احتمالات استئناف المفاوضات مع الفلسطينيين، قال ليبرمان إن إسرائيل تعيش واقعا جديدا مختلفا تماما في الشرق الأوسط، لكنها ما زالت تتعامل معه بأدوات متقادمة وكأن شيئا لم يتغيّر منذ اتفاق أوسلو العام ١٩٩٣. ويصب ليبرمان المياه على طاحونة نتنياهو بزعمه أن إسرائيل دخلت في طريق مسدود، وأن الصراع ليس مع الفلسطينيين. ليبرمان الداعي ببرنامجه الحزبي لترحيل الفلسطينيين في منطقة المثلث تابع: «جزء من الفشل أننا نشخص الواقع بشكل خاطئ، وهو في الواقع صراع ثلاثي الأبعاد: مع العالم العربي، مع الفلسطينيين، ومع فلسطيني الداخل، داعيا لبلورة صفقة واحدة تشمل مركبات الصراع الثلاثة». وانضم ليبرمان لجوقة الطعن بالرئيس عباس أيضا، وقال إن هناك أسئلة متزايدة حول شرعيته واستخف بتصريحاته حول خطوات هدد باتخاذها مع حماس. ولتبرير رؤية حكومته بإدارة الصراع لا تسويته، يزعم ليبرمان أنه من غير المعقول القيام بأي خطوات مهمة مع الرئيس عباس قبل أن تتم انتخابات فلسطينية عامة، لأن أي رئيس سيخلفه سيعتبر الاتفاق والتوقيع نقشا على الثلج.

واعتبر المعلق السياسي البارز غدعون ليفي هذه الهجمة الإسرائيلية المنسقة منذ وقف الحرب على غزة محاولة للتهرب من أي فرصة للتسوية مع الفلسطينيين، مؤكدا أن إسرائيل اليوم تراهن على انشغال العرب وخلافاتهم الداخلية وعلى لامبالاة العالم. ونبه ليفي في ندوة في مؤتمر الجماهير العربية في إسرائيل تم في الناصرة (٢٠١٤/٩/١٢) أن إسرائيل تشن حربا مزدوجة على حماس وعلى عباس وهدفهما واحد: الإفلات من احتمالات التسوية، وتابع «لا يلوح في الأفق ما يشي بوجود معارضة حقيقية في إسرائيل، وباحتمالات حدوث تغيير، لأن الأمل بضغوط خارجية قد تبدد، ولذا فأنا متشائم جدا وربما نحن في الطريق لحرب أهلية».

أين المعارضة؟

من جهتها، ساندت المعارضة في إسرائيل الحكومة في حربها على غزة، لكنها ما لبثت أن أبدت تحفظاتها من استمرارها ومن وقوع عدد كبير من الضحايا في الجانب الفلسطيني. اتهم إسحق هرتسوغ رئيس المعارضة في إسرائيل رئيس حزب «العمل» حكومة نتنياهو بتفويت متعمد لفرصة تاريخية لمشروع سياسي يعقب «الجرف الصامد»، مشددا في تصريحات لصحيفة «معاريف» الإلكترونية (٢٠١٤/٩/٧) على أن نتنياهو يناور ويتهرب من تسوية الصراع. وفي نظر هرتسوغ فإن صيغة «الأمن والحدود أولا» يمكنها أن تكون معادلة للمفاوضات مع الفلسطينيين. وتابع «أفضل شيء الآن هو التحدث مع الرئيس عباس وعلى نتنياهو مهاتفته ودعوته للقاء»، وهذا ما تبناه رئيس الموساد الأسبق داني ياتوم في حديث لإذاعة الجيش في ذات اليوم. أما رئيسة حزب «ميرتس» المعارض زهافا غالئون فتدعو نتنياهو لتقديم استقالته بعد فشل الحرب التي تسببت بخسائر كبيرة لإسرائيل بعدة مستويات منها صورتها في العالم وعلاقتها مع حليفتها الأهم الولايات المتحدة.

هل من «وعي جديد» في إسرائيل بعد الحرب

وتقول غالئون (الإذاعة العبرية العامة ٢٠١٤/٨/٣١) إن نتنياهو دفع بإسرائيل نحو حافة الهاوية، ومع ذلك يرفض اليوم التوصل لتسوية سياسية مع غزة خوفا من ازدياد احتمالات تسوية واسعة مع السلطة الفلسطينية. وتتابع «هو راغب في تقوية حماس وإضعاف عباس، محاولا الإفادة من التحامل الدولي على الإسلامي المتطرف كـ «داعش» معتبرا حماس «داعش» الفلسطينية».

وعي جديد؟

هل تسببت الحرب على غزة بتفكير جديد في إسرائيل حيال الصراع؟ ربما تكون حقيقة فشل إسرائيل في تحقيق الأهداف المعلنة للحرب، وتكبدها خسائر موجعة هي الأخرى رغم استخدام كمية هائلة من النيران والصمت العربي والدولي طيلة خمسين يوما، وشن ثلاثة حروب على غزة في خمس سنوات، هي أسباب لبداية ما يبدو تكوّن وعي جديد في الجانب الإسرائيلي.

وحمل قائد البحرية والشاباك سابقا الجنرال عامي أيالون على المتمسكين بنظرية «القوة المفرطة»، وقال إن من غير الممكن كيّ وعي الفلسطينيين بالنار والحديد. أيالون الذي يعتبر أن عهد الانتصارات الإسرائيلية قد ولى قال للإذاعة العبرية العامة (٢٠١٤/٩/١) إن الحل يكمن في تسوية الصراع بسرعة من خلال حكومة الوحدة الفلسطينية والرئيس عباس، وتابع «لا يمكن الانتصار على فكرة أو رواية، وعلينا أن نبدأ نحن بتعديل روايتنا التاريخية حتى نتيح فرصة للتفاوض والتفاهم».

وعبّر عن ذلك أيضا الكاتب البارز دافيد غروسمان الذي أكد في حديثه لإذاعة الجيش عدم وجود حل عسكري للنزاع بين إسرائيل وبين حماس.

ومن مؤشرات هذا الوعي الجديد في ما يتعلق بمستقبل العلاقة مع الفلسطينيين- لا مع غزة فحسب- تصريحات واضحة لرئيس الموساد الأسبق إفرايم هليفي الذي قال إنه لن يتنفس الإسرائيليون الصعداء طالما أن غزة تحت الحصار والخناق، وإنه دون تسوية يعني بدء الدولة الواحدة من البحر للنهر.

وقال هليفي في تصريحات للقناة الأولى (٢٠١٤/٩/٢) إن حماس ورغم «عزلتها وتلقيها ضربات موجعة» ما زالت صامدة

يظهر استطلاع رأي جديد في إسرائيل أن شعبية رئيس حكومتها قد تدنت، لكنه يحتفظ بمؤهلاته السياسية لإشغال وظيفته مجددا في ظل هيمنة مطلقة لليمين بعد أن حطت الحرب أوزارها. ويفيد استطلاع رأي نشرته صحيفة «معاريف» الإلكترونية (٢٠١٤/٨/٢٩) أن الحرب على غزة زادت من توجهات الإسرائيليين نحو اليمين، وربما هذا مرتبط بمشاعر خيبة الأمل والإحباط وتفويت الفرصة، حيث يدلل الاستطلاع أن ٦١ ٪ منهم يعتقدون أن إسرائيل «لم تنتصر في الحرب»، بمعنى أنها لم تحقق هدفها بتوفير هدوء لفترة طويلة.

ومزروعة في قلب غزة بقوة تضطر إسرائيل للتفاوض معها. ويتابع «إن وقف النار فعليا دون تسوية يعني ان الجيش لم يحقق مكاسب كافية في الميدان، وعندها سيفهم العالم العربي أن إسرائيل ربما انتصرت في المعركة لكنها خسرت في الحرب، وبكلمات أخرى هي استبدلت مكسبا عسكريا في غزة بنتيجة معاكسة حول طاولة المفاوضات». ويرى هليفي أن هذا سيكون المسمار الأخير في نعش السلطة الفلسطينية التي تعاني أصلا من مكانة مهتزة، وينهي قاطعا «مثل هذه الخاتمة للحرب على غزة تعني بداية الدولة الواحدة من البحر للنهر».

من جملة هذه الأصوات أيضا التي تعكس ربما بداية تشكل وعي جديد، صوت حاييم يالين رئيس المجلس الإقليمي «أشكول» المحاذي لقطاع غزة الذي واظب على الدعوة للاستجابة لمطالب حماس خلال مفاوضات القاهرة. في حديث للقناة الإسرائيلية الأولى (٢٠١٤/٩/١) كرر يالين رؤيته بضرورة منح حماس فرصة لبناء ميناء ومطار وفتح المعابر كي يكون بحوزتها ما تخشى عليه. في محاولة لاستباق تساؤلات على مخاطر ذلك، أوضح يالين أن الحديث يدور عن رقابة دولية على المعابر، علاوة على توفر فرصة تدمير الميناء والمطار خلال دقيقتين بقصف من الجو في حال أخلت حماس بالاتفاق معها.

النظرة لغزة

لكن جهاز المخابرات العامة يعزف على مزمار الحكومة، ويواصل بعد الحرب النظر لغزة كقضية أمنية فحسب، ويوصي بتخفيف الضغط الاقتصادي عن غزة. وينقل المعلق العسكري في «هآرتس» (٢٠١٤/٨/٣١) عاموس هرئيل عن ضابط كبير قوله إن لإسرائيل مصلحة بألا يكون القطاع تحت وطأة ضغط اقتصادي- اجتماعي ثقيل جدا. ويتابع الضابط «إن استطعنا توسيع المساحة البحرية المسموح بها الصيد وبتوفير تسهيلات بحركة البضائع في معبري بيت حانون وكرم أبو سالم فهذا سيساعدنا في إدامة الهدوء» وهذا ما تبنته بالكامل صحيفة «هآرتس» في افتتاحيتها باليوم التالي (٢٠١٤/٩/١).

في المقابل، ذهب الكاتب باروخ لشام لأبعد من ذلك، مؤكدا فشل نظرية كيّ وعي الفلسطينيين بالحديد والنار. ونوه في مقال نشرته «يديعوت أحرونوت» (٢٠١٤/٨/٢٠) بأن التجربة تدلل على فشل هذه النظرية التي يقودها وزير الدفاع موشيه يعلون. ويؤكد أن حماس انتصرت في الحرب على رواية الحرب، ويدلل على ذلك تظاهر سكان مستعمرات غلاف غزة في تل أبيب ضد الحكومة والجيش وعدم عودتهم لمنازلهم بعد، ويتابع «التغيير في الوعي يحصل لدينا وليس في الجانب الفلسطيني، ولدى الإسرائيليين إحساس بالمرارة الحراقة في الحلق».

انزياح لليمين

يظهر استطلاع رأي جديد في إسرائيل أن شعبية رئيس حكومتها قد تدنت، لكنه يحتفظ بمؤهلاته السياسية لإشغال وظيفته مجددا في ظل هيمنة مطلقة لليمين بعد أن حطت الحرب أوزارها. ويفيد استطلاع رأي نشرته صحيفة «معاريف» الإلكترونية (٢٠١٤/٨/٢٩) أن الحرب على غزة زادت من توجهات الإسرائيليين نحو اليمين، وربما هذا مرتبط بمشاعر خيبة الأمل والإحباط وتفويت الفرصة، حيث يدلل الاستطلاع أن ٦١ ٪ منهم يعتقدون أن إسرائيل «لم تنتصر في الحرب»، بمعنى أنها لم تحقق هدفها بتوفير هدوء لفترة طويلة. ووفق الاستطلاع فهم يقدرون أداء قائد الجيش بيني غانتس أكثر من رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو ووزير الدفاع موشيه يعلون. ويعتقد ٧٢٪ من الإسرائيليين أن أداء غانتس كان جيدا إلى جيد جدا مقابل ٥٣٪

ليعلون، أما نتنياهو فحاز على ٤٩٪ فقط بعكس شعبيته الواسعة في الأيام الأولى للحرب. وفي حال جرت انتخابات اليوم سيصبح حزب المستوطنين «البيت اليهودي» برئاسة وزير الاقتصاد نفتالي بينيت الحزب الثاني في إسرائيل حيث سيرتفع من ١٢ مقعدا إلى ١٨ مقعدا.

ويرى معظم الإسرائيليين (٥٨٪) أن وقف النار مع غزة خطأ بدد مكاسب الجيش خلال العدوان، ويفضلون لو استمر ضرب مقاومتها حتى نزع سلاحها وقدراتها العسكرية. وحسب الاستطلاع الذي أنجزه معهد كارتيوغرافيا المرموق فإن ٣٣٪ فقط من الإسرائيليين يرون أن وقف النار خطوة سليمة من شأنها شق الطريق لتسوية سياسية بواسطة مصر والسلطة الفلسطينية.

يشار إلى أن استطلاع رأي نشرته «هآرتس» (٢٠١٤/٨/٢٧) أفاد هو الآخر بعدم وجود بديل لنتنياهو بتبيانه أن شعبيته قد تدنت من ٧٧٪ في مطلع الحرب إلى ٥٠٪ اليوم، لكنه يحتفظ بكونه المرشح الأقوى لإشغال رئاسة الوزراء مجددا.

التحقيق في الحرب

عقبت منظمة «بتسيلم» على بيان النيابة العسكريّة بأنها أمرت بفتح تحقيقات في الحالات «الاستثنائيّة» أثناء حرب «الجرف الصامد» بالقول إنّ تجارب الماضي تدفعها لعدم تعليق آمال كثيرة بأن تؤدّي الفحوصات إلى تحقيقات جديّة أو إلى أيّ نتائج تُذكر، سوى أخفاء الحقائق.

وأعلنت بتسيلم في موقعها على الشبكة أنها لن تقدّم المساعدة لجهاز التحقيق العسكريّ القائم، إذ أنه لا يشكّل في هيئته الحالية إلا مسرحًا لتحقيقات غير حقيقيّة، وطالبت باستبداله بجهاز تحقيق مستقلّ وشفّاف وغير منحاز.

وسبقها البروفسور يحزقيل درور، عضو لجنة فينوغراد للتحقيق بحرب لبنان الثانية العام ٢٠٠٦، الذي طالب بفحص العدوان على غزة من خلال لجنة مشابهة مشددا على فشل الاستخبارات في فهم مجريات الأمور وساخرا من فكرة أن يحقق الجيش مع نفسه. في حديث لإذاعة الجيش الإسرائيلي (٢٠١٤/٩/٢) اعتبر درور ذلك محاولة للقيام بضربة استباقية بعد الإعلان عن تشكيل لجنة تحقيق دولية في الحرب على غزة.

وبخلاف مسؤولين ومراقبين آخرين وجهّوا أصابع الاتهام لنقاط معينة في إدارة الحرب على غزة يرى درور أن الفكرة المركزية التي تبرر تشكيل لجنة تحقيق الآن هي الحاجة لنظرية قتال جديدة ورؤية سياسية جديدة. ويتفق درور مع مراقبين آخرين اتهموا الجيش باعتماد تكتيكات قتالية متقادمة، وقال إن الحرب على غزة تبرهن على أن قسما من الطرق المعتمدة من قبل إسرائيل لا تتناسب مع الظروف الجديدة المتمثلة بحركة حماس. ويتابع « أظن أننا لا نفهم بعمق جوهر حركة حماس وما يمكن أن يردعها».

جرف اقتصادي موجع لإسرائيل

فيما يتفاقم الجدل الصاخب في إسرائيل حول النتائج الحقيقية للحرب على غزة، هناك اتفاق على كونها باهظة الكلفة من الناحية الاقتصادية. وتفيد معطيات وزارة المالية في إسرائيل اليوم أن الحرب على غزة قد ألحقت فيها سلسلة أضرار اقتصادية فادحة، بشكل مباشر وغير مباشر وللقطاعين العام والخاص.

ووفق هذه التقديرات الرسمية تبلغ أثمان الحرب بالنسبة للاقتصاد الإسرائيلي نحو ١٣ مليار شيكل (نحو ٤ مليارات دولار).

وبلغت كلفة المجهود الحربي المباشر نحو ثلثي هذه الأثمان والثلث الثالث هو خسارة المرافق الاقتصادية وانخفاض حجم الإنتاج وتدني النمو الاقتصادي بنسبة ٥ر٠٪ حتى الآن.